

العمارة الإسلامية تلهم العالم



أكد رئيس جمعية علوم العمران في الأحساء

المهندس عبد الله الشايب لـ«الوطن»، أن دراسات مختلفة تناولت العمارة الإحسانية الإسلامية منذ إعلان الأحساء موقع تراث عالمي في اليونسكو عام 2018، الأمر الذي حفز المعماريين على الاهتمام بها كمخزون تراثي ثري، مشيرًا إلى أن هذا النوع من الفنون يستحق العمل عليه وتدوينه ونقله، فهو زاخر بالفنون الأدائية حتى أن كثيرًا من دول العالم استلهمت منه وجعلته مرجعًا في المعمار المعاصر. التثاقف مع الحضارات

أضاف الشايب «العمارة الإسلامية لم تتضح ملامحها إلا بعد مرور أكثر من قرن من الزمان على الرسالة المحمدية بفعل التثاقف مع الحضارات المختلفة السابقة، وأثر الإسلام على المباني والأحوال الحضارية، واطّلع التثاقف عبر المواد، والتقنيات المختلفة، وتحركات المسلمين الفردية والجماعية في جغرافيات مختلفة بعد توسع انتشار الإسلام، إذ تمت إقامة ثاني صلاة «جمعة» في الإسلام في «مسجد جواثي»، ما زالت شواهد قائمة حتى وقتنا الحالي»، مشيرًا إلى أن «حوض الخليج تلاقفت فيه الحضارات والقوميات المختلفة بفضل الحركة التجارية، فهناك تشابك فيما بينها، وأسست لها كيانا واضح المعالم».

3 نماذج

أوضح الشايب أن «العمارة الأحسانية الإسلامية، وعاصمتها حاليًا «الهفوف»، كانت مركزًا للحركة التجارية والعلمية والسياسية والاجتماعية والإدارية والإنتاج الزراعي، وكانت ملتقى وسوقًا قديمًا

عرف بسوق المشقر وسوق هجر، وأن تشكيل العمارة الأحسانية الإسلامية يتطلب معرفة عميقة لمعرفة الفوارق أو التشابك بين العمارة الأحسانية وغيرها من أشكال العمارة الإسلامية في العالم الإسلامي»، لافتاً إلى أن «3 نماذج مع وجود سمة خاصة يتم عليها البناء سواء من خلال التكوين التفصيلي لتوزيع الفراغات أو من خلال التكوينات المعتمدة على البواكي»، مبيّنًا أن قصر إبراهيم الأثري ذي القبة الواحدة ومسجد الجبيري، هما تحفتان معماريتان على طراز العمارة الأحسانية.



أول مبنى لأغراض مدنية وعسكرية

قال الشايب «إن قصر إبراهيم الأثري، بني في القرن الـ10 الهجري، ويعد نقلة في تاريخ العمارة العالمية باعتباره أول مبنى استخدم لأغراض مدنية وعسكرية في نفس الوقت، فضلا عن ضخامة المبنى الذي تبلغ مساحته 16 ألف متر مربع، وهو ما يدل على أن الهفوف كانت قاعدة سياسية مهمة، إضافة إلى المدرسة الأميرية فيها، والتي تعد نقلة حضارية نظرًا لكونها المدرسة النظامية الأولى، بنيت سنة 1360 هجرية وسط مدينة الهفوف لتكون أول مدرسة في المنطقة الشرقية، وتم تأهيل المبنى عبر مؤسسة التراث الخيرية 1418 هجرية، وكانت في حينها مقرًا لجمعية علوم العمران بالأحساء، وهي نموذج من نقل واستلهام العمارة التراثية (طراز العمارة الأحسانية) إلى العمارة باستخدامات معاصرة أو حديثة بصيغتها الجميلة التي تعد مثالًا يحتذى بها للأبنية الحديثة في البيئة الحضرية، وبنيت المدرسة من الحجر والجص وبزخرفة مميزة، والطابق الأول له شرفات تطل على الساحة وتحيط به أسوار وأبراج ذات نهايات مسننة».

تحفة تقاطعات الأقواس



أبان الشايب أن «مسجد الجبيري بالهفوف بني في القرن الـ10 الهجري، وكان الأساس في مدينة الهفوف، واستدعي إليه بعض الأئمة من المدينة المنورة للصلاة فيه، ووقفت عليه أوقاف كثيرة، وهو تحفة معمارية اعتمدت على تقاطعات الأقواس ومجموعات إيوانات مع

ساحة خارجية، وهذا المسجد يدخل ضمن مشروع ترميم المساجد التاريخية»، مؤكداً أن «قصر إبراهيم والمدرسة الأميرية وبقية الأماكن التراثية تمثل مجموعاً كلياً حضارياً يجعل من الهفوف مدينة تاريخية عريقة ووجهة سياحية مميزة، فهي دليل على أن الحضارة الأحسانية متفاعلة مع محيطها مؤثرة ومتأثرة ببلاد الرافدين وبلاد شمال إفريقيا بالذات، لذلك يوجد تجانس في التفاصيل المعمارية داخل تكوين المسجد نفسه»، لافتاً إلى أن في الهفوف مجموعة من الأبنية التراثية، التي تحتوي مختلف أنواع الزخرفة الأحسانية المعتمدة على الجص، وهي طريقة ذكية لتكسية الجدران، تضي روح النقاء والصفاء، وكل زخرفة لها فلسفتها المتأثرة بمحيطها، إضافةً إلى ذات الفنان المزخرف، مشيراً إلى أن «المباني الأحسانية تراعي الحالة المناخية، وتحتوي بوابات وأبراج للحماية من الخارج، ومن الداخل، إضافة إلى المساجد والأسواق والحمامات وكل ما يعني الشأن الإنساني لاستقبال الزائرين والمقيمين، وكلها تؤسس لسمة حضارية متكاملة وصورة بصرية تابعة للعمارة الأحسانية الإسلامية».

تجمع عائلي



أكد أستاذ قسم العمارة في جامعة الإمام

عبدالرحمن الفيصل بالدمام، المشرف العام على مركز التراث العمراني الوطني سابقاً، رئيس اللجنة الوطنية للإيكوموس «المجلس الدولي للمعالم والمواقع» ICOMOS الدكتور مشاري النعيم، أن الهفوف، واحدة من المدن التي انطبقت عليها 6 مبادئ رئيسة لنشأة المدن في الحضارة الإسلامية، والتي تركز على الحاجات الأساسية للإنسان، وهي: العصبية «التجمع العائلي»، لا ضرر ولا ضرار، الشفعة، حق المرور، الأحياء، حق الأسبقية، موضحاً «أن مدينة الهفوف، نشأت من مجموعة من العائلات، توزعت على مجموعة من الأحياء، وتسكنها مجموعات من الأسر المتقاربة مكانياً، نتيجة لامتداد زمني عميق».

وأضاف «إن كافة عناصر تصاميم العمارة العمرانية في الأحساء، تحمل مضامين ووظائف عمرانية واجتماعية عدة»، مستشهداً في ذلك بإنشاء بابين لكل عقار، أحدهما للضيوف ويكون مفتوحاً على مدار اليوم لاستقبال الضيوف، وعمل شرفات في أعلى المنازل لمعرفة ساعات تواجد الضيوف في المجلس أعلى المنزل،

وهو نظام اجتماعي وتواصل غير منطوق في العمارة الأحسائية، داعيًا إلى التشجيع في استخدام العمارة الأحسائية القديمة في المباني الحديثة أو الجديدة، والاستعانة بالمتخصصين في ذلك، مبيدًا أن «الشفعة» في الهفوف، ركزت على الحفاظ على الأسرة، وتماسك الأسر في الأحساء، وله تأثير عميق في بقاء البيئة والعمارة العمرانية متماسكة.

وأبان أن «البيئة العمرانية في الأحساء مرنة وديناميكية، وليست جامدة، رغم أنها كتلة عمرانية ضخمة، وذلك بسبب ارتباط الأسر في مناطق محددة، وكانت البيئة العمرانية تستجيب للظروف الاجتماعية، ونتيجة لتوفر الموارد، استطاعت الأحساء إنتاج منتجات معمارية متميزة وأصيلة في الجزيرة العربية»، موضحًا أن دراسة بحثية «ميدانية»، أثبتت أن النقوش الجصية في العمارة الأحسائية متعددة، ليصل الاختلاف في التصاميم إلى عدم تشابه الزخارف في المباني داخل الأحساء القديمة.

6 مبادئ رئيسة لنشأة المدن الإسلامية

العصبة «التجمع العائلي»

لا ضرر ولا ضرار

الشفعة

حق المرور

الأحياء

حق الأسبقية